

وفي بعض المراسيل : (إن ا] يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات . فقوله تعالى : { فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ ° } إشارة إلى اتباع الشهوات ، وهوداء العصاة . وقوله : { وَخُضْتُمْ كَالسَّذِيِّ خَاضُوا ° } إشارة إلى الشبهات ، وهو داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات ، وكثيراً ما يجتمعان . فقل من تجده فاسد الاعتقاد إلا وفساد اعتقاده يظهر في عمله . والمقصود أن ا] أخبر أن في هذه الأمة من يستمتع بخلافه كما استمتع الذين من قبله بخلافهم ، ويخوض كخوضهم ، وأن لهم من الذم والوعيد كما للذين من قبلهم ، ثم حضهم على القياس والاعتبار بمن قبلهم فقال : { أَلَمْ يَأْتِهِمْ ° نَبَأُ السَّذِينَ ° مِّن قَبْلِهِمْ ° قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ° وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ ° وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ ° وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ° أَتَتْهُمْهُمْ ° رُسُلُهُمْ ° بِالْبَيِّنَاتِ ° فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ° وَلَآكِن كَانُوا ° أَنفُسَهُمْ ° يَظْلِمُونَ ° } فتأمل صحة هذا القياس وإفادته لما علق عليه من الحكم ، وأن الأصل والفرع قد تساويا في المعنى الذي علق به العقاب وأكده كما تقدم بضرب من الأولى وهو شدة القوة وكثرة الأموال والأولاد ، فإذا لم يتعذر على ا] عقاب الأقوى منهم بذنبه فكيف يتعذر عليه عقاب من هو دونه . ومنه قوله تعالى : { وَرَبُّكَ ° الْغَنِيُّ ° ذُو الرَّحْمَةِ ° إِنْ يَشَأْ ° يُذْهِبْكُمْ ° وَيَسْتَبْخِلِفْ ° مِّن بَعْدِكُمْ ° مَّا يَشَاءُ ° كَمَا أَنشَأَكُم ° مِّن ذُرِّيَّةٍ ° قَوْمٍ ° آخَرِينَ ° } . فهذا قياس جلي ، يقول سبحانه : إن شئت أذهبكم واستخلفت غيركم ، كما أذهب من قبلكم واستخلفتكم ، بذكر أركان القياس الأربعة : علة الحكم وهي عموم مشيئته وكمالها ، والحكم وهو إذهابه إياهم وإتيانه بغيرهم ، والأصل وهو ما كان من قبل والفرع وهم المخاطبون ، ومنه قوله تعالى : { بَلْ ° كَذَّبُوا ° بِمَا لَمْ يُحِيطُوا ° بِعِلْمِهِ ° وَلَمْ ° يَأْتِهِمْ ° تَأْوِيلُهُ ° كَذَلِكَ ° كَذَّبَ ° السَّذِينَ ° مِّن قَبْلِهِمْ ° فَانظُرْ ° كَيْفَ ° كَانَ ° عَاقِبَةُ ° الظَّالِمِينَ ° } فأخبر أن من قبل المكذبين أصل يعتبر به ، والفرع نفوسهم . فإذا ساووهم في المعنى ساووهم في العاقبة ، ومنه قوله تعالى : { إِنْ ° نَّآ ° أَرْسَلْنَا ° إِلَيْكُم ° رَسُولًا ° شَاهِدًا ° عَلَیْكُمْ ° كَمَا ° أَرْسَلْنَا ° إِلَی فِرْعَوْنَ ° رَسُولًا ° فَعَصَى فِرْعَوْنُ ° الرَّسُولَ ° فَأَخَذْنَاهُ ° أَخْذًا ° وَبِيلًا ° } فأخبر سبحانه أنه أرسل موسى إلى فرعون ، وأن فرعون عصى رسوله فأخذه أخذاً وبيلاً . فهكذا من عصى منكم محمداً صلى ا] عليه وسلم . وهذا في القرآن كثير جداً

فقد فتح لك بابه . . .

فصل .

وأما قياس الدلالة فهو الجمع بين الأصل والفرع ، بدليل العلة وملزومها ، ومنه